

التعامل مع المرض في الإسلام



د/ خالد الهادي الفلاح (*)

المقدمة :

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وعلمنا القرآن وجعلنا من خير أمة
أخرجت للناس :

إن المتأمل في شريعة الإسلام الخالدة يلاحظ مدى شمولية هذه
الشريعة ومقدرتها على مواكبة الأحداث وصلاحيتها لكل زمان ومكان ؛ ذلك
أن الله تعالى أراد أن تكون هذه الشريعة خاتمة لشرائع السماء ومهيمنة
عليها ؛ فأوجد فيها من عناصر البقاء الشيء الكثير .

فلا يوجد جانب من جوانب الحياة إلا وبينته الشريعة بوضوح
وأرشدت الإنسان إلى ما يصلح حاله فيه ، وتمنحه السعادة والإستقرار في
الدنيا والأمان في الآخرة .

ومن أهم هذه المجالات اهتمام الإنسان بصحة المسلم ورعايته صحيا
ليكون قويا ونشيطا ومتفوقا ليتمكن من عبادة الله بالشكل المطلوب .

(*) أستاذ مساعد - قسم الدراسات الإسلامية - جامعة الزيتونة - ليبيا .

وقد أعددت هذا البحث ليكون مرشدا للمسلم لأحكام دينه في هذا الموضوع ، وليكون كذلك منبها على عظمة الإسلام وأنه دين الله الخالد الباقي ، وعندما طبق المسلمون أحكام هذا الدين في شتى المجالات كانوا أسعد الأمم وأقواها وأقربها لله _ عز وجل - ومأحوج المسلمين في هذا الزمان لاقتفاء أثرهم والسير على طريقهم لتحقيق لهم السعادة في الدنيا والآخرة ليتم لهم التمكين في الأرض كما وعدهم خالقهم عز وجل حين قال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ...)

أولا : تعامل المريض مع مرضه :

لكي يحصل المريض على الشفاء والراحة النفسية والأجر والثواب من الله تعالى عليه أن يراعي عدة أمور إذا أصيب بالمرض من هذه الأمور مايلي :

١- الصبر على المرض :

ينبغي للمسلم أن يوطن نفسه على الصبر على المرض ذلك لأن في الصبر فوائد كثيرة وعظيمة منها :

أ-الأجر والثواب العظيم من الله تعالى لأن الصبر نصف الإيمان ولأن الله وعد الصابر بالأجر العظيم الذي ليس له حد قال تعالى ((إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) ،سورة الزمر ١٠

وقال تعالى ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)) سورة البقرة ١٥٥.

وقال تعالى (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) سورة البقرة ١٥٣. وغيرها من الآيات في هذا الموضوع .

وقال النبي ﷺ "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له" (١)

وقال ﷺ: إن الله عز وجل قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة " (٢) والمقصود بحبيبتيه : عيناه .

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما - أن امرأة سوداء أتت النبي - ﷺ - فقالت إني أصرع وإني أنكشف فادع الله تعالى لي قال : إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك "فقالت : أصبر فقالت إني أنكشف فادع الله ألا أنكشف فدعا لها " (٣)

فهذه المرأة اختارت الصبر الذي جزاؤه الجنة مقابل المرض ، وضحت وبالدنيا والشفاء مقابل الآخرة دار البقاء، وكذلك الذي يصبر علي فقدان بصره ونور حياته وعلي أي مرض آخر يكون جزاؤه الجنة قال - ﷺ - (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها) (٤) والنصب : التعب والشقاء ، والوصب : المرض ،

وهذا الحديث يدل على أن المسلم الصابر يؤجر على صبره سواء كان البلاء شديدا أو خفيفا كالشوكة وما شابهها وكلما كان البلاء أشد كان الأجر أعظم .

وليتأس المسلم عند مرضه بالنبى - ﷺ - حيث كان يمرض ويشد به المرض ويوعك وعكا شديدا فيصبر ويحتسب .، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال دخلت على النبى - ﷺ - وهو يوعك فقلت : يا رسول الله إنك توعك وعكا شديدا ، قال اجل إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم ، قلت : ذلك أن لك أجرين ؟ قال : "أجل ذلك كذلك مامن مسلم يصيبه أذى ، شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته ، وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها" (١) وكان الأطباء يعاينون النبى - ﷺ - عندما يمرض فتعلمت السيدة عائشة بعض الأدوية والعلاجات منهم ، وكان إذا اشتد به المرض يضع يده في الإناء ويمسح بها وجهه ويقول : "اللهم أعني على غمرات الموت وسكرات الموت" (٢)

ب- وفي الصبر تسلية للنفس وتهوين لمصيبتها ، وتخفيف للألم لأن الجزع لايزيد المسلم إلا شقاء أما الصابر فإنه يعلم أن هذا المرض ابتلاء من الله فلا يعترض على قضاء الله وقدره ويعلم كذلك أنه على قدر صبره ويقينه يزداد أجره وثوابه وهو كذلك علامة على قوة الإيمان واليقين ...

ثم ف إن المسلم أولا وأخيرا يعلم أن الدنيا ليست بدار بقاء وأن الآخرة هي دار الخلود وأن الرحيل من الدنيا سيكون عاجلا أم آجلا بالمرض أو بغيره ...

ج- الصبر كذلك جزء من العلاج لأن كثيرا من العلاجات - إن لم تكن كلها - تحتاج إلى الراحة النفسية التي توجد اعتدالا في ضغط الدم ونسبة السكر وما إلى ذلك وإذا فقدت الراحة النفسية يصبح العلاج صعبا كما يلاحظ أن فاقد الصبر قد يصاب بمضاعفات أخرى تزيد من المرض فيفقد شهية الأكل وقد يصاب بسكتة قلبية أو ماشابه عندما يعلم انه مصاب بمرض خطير .

٢- المداواة والعلاج: يجب على المسلم إذا أصابه مرض أن يسعى إلى الشفاء منه ويبادر بطلب العلاج له لأنه " لكل داء دواء فإذا أصيب الداء برأ بإذن الله " (٧) ففي هذا الحديث حث للناس على التداوي والعلاج .

وفيه أيضا دعوة لطلب علوم الطب والصيدلة وصناعة الأدوية والمعدات الطبية وبناء المستشفيات وغيرها لعلاج الناس. وفيه بيان أن العلاج والطب لا يتناقض مع التوكل على الله سبحانه فمعلوم أن الشفاء بيد الله عز وجل وأقدار الله مرتبطة بالأسباب وعلى المسلم أن يسعى لتحصيل هذه الأسباب.

وقد كان الأطباء يفدون على النبي - ﷺ - في حال المرض ويصفون له الأدوية ويتناولها النبي - ﷺ - الذي كان أكثر الناس توكلا وقربا لله - عز وجل - وقد تعلمت السيدة عائشة رضي الله عنها - ألوانا من الطب المتاح في ذلك الوقت من هذه الوصفات الطبية التي عولج بها النبي - ﷺ - وكان يأمر أصحابه بالتداوي والعلاج ، من ذلك أنه بعث إلى أبي بن كعب طبيبا فقطع منه عرقا ثم كواه عليه . (٨)

ومن ذلك أيضا أنه وضع يده على صدر سعد بن أبي وقاص وهو مريض وقال له : "إنك رجل مفوود أئت الحارث بن كلدة فإنه رجل يعرف الطب " (٩)

وبهذا يتبين أن الطب والعلاج واجب شرعي أوجبه الله على المسلم ليحافظ على جسمه وبقية الأمراض .

وليحافظ على نفسه ويبعدها عن الوسواس والخطرات السيئة ، لأن التداوي يشعر الإنسان بالأمل في الحياة وهي غريزة في كل نفس إنسانية .

والتداوي كذلك يؤجر عليه المسلم لأنه لم يأس من رحمة الله تعالى ولم يقنط من الشفاء ، قال تعالى : (إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) سورة يوسف ٨٧.

ومن أيس من حياته وعلم أن عمره صار أيلاما معدودة لأنه مصاب بداء عضال ومرض فتاك كالأورام الخبيثة والكبد الوبائي والإيدز .. وغيرها من الأمراض الأخرى ينبغي عليه ألا يستسلم للمرض وعليه أن يسعى للشفاء ، لأن الشفاء بيد الله - عز وجل - والله جعل لكل داء دواء إلا الموت ، ومع ذلك فإننا نؤمن بالعلم التجريبي ورأي الطبيب المختص الثقة المتقن لمهنته فإذا أعلم الطبيب مريضه بأنه لا أمل له في الشفاء فعليه ألا يدعو على نفسه بالموت بل يوكل أمره لله فيقول : اللهم أحيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني ما علمت الوفاة خيرا لي

وكان - ﷺ - يقول في مرض موته : "اللهم اغفر لي وارحمني ، وألحقني بالرفيق الأعلى" (١٠)

ويؤجر المسلم على التداوي من وجه آخر وهو أنه يسعى به إلى تحصيل القوة واستخدامها في طاعة الله والإستعانة بها على القرب من الله - عز وجل - وقد قال - ﷺ - " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير " (١١)

٣- تذكر نعم الله في سلامة الأعضاء الأخرى :

عندما يصاب المسلم بمرض في عضو من أعضاء جسده ينبغي ألا ينسيه المرض سلامة الأعضاء الأخرى ؛ فالأبرص مثلا ينبغي ألا ينسى نعمة السمع والبصر واللسان والعقل واليدين والقدمين ... وعليه أن يشكر الله - تعالى - عليها .

وعليه أن يعتبر بحال غيره من المصابين والمرضى والمقعدين...؛
(فمن رأى بلوى غيره هانت عليه بلواه) فالمرض والإعاقة لا يكون سببا
للسخط والإنزواء والنظر إلى الحياة بنظارة سوداء كلها تشاؤم ؛ بل الابتلاء
ينبغي أن يكون باعثا للتوبة والرجوع إلى الله وشكره على بقية نعمه ولو يعلم
المسلم مايدخره له ربه من الأجر والثواب لهان عليه المرض والابتلاء فقد
جاء في الحديث : " لايزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى
يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة" (١٢)

٤- القيام بالعبادات وممارسة الحياة بشكل طبيعي :

من المؤسف حقا أن بعض المرضى يبادر عند مرضه إلى ترك
الصلاة أو يتهاون في أدائها بذريعة المرض وصعوبة الوضوء والصلاة..
والحقيقة أنه لا عذر لأحد في ترك الصلاة لأن الله - سبحانه - أحاط العباداة
بكثير من الرخص التي تمكن المسلم من أدائها في أي وقت وعلى أي حال ؛
فمن عجز عن الوضوء يتيمم ،ومن عجز عن الصلاة قائما صلى جالسا أو
مضطجعا ،ومن عجز عن استقبال القبلة لأن تحريكه يؤدي إلى الإضرار به
يصلي في أي اتجاه ،ومن عجز عن الحركة يوميء برأسه أو عينيه أو ينوي
بقلبه إن كان عاجزا عجزا كلياً .. وهذه قمة التيسير في التكليف الشرعية .

والمسلم عندما يحافظ على الصلاة في حال المرض يكون ذلك عاملا
مساعدا على الشفاء والراحة النفسية علاوة على الأجر العظيم عند الله .

ثم إن المرض رسول الموت ؛ فمن مرض لا يدري لعله لايقوم من
مرضه فلا يجعل آخر عمره شرا من أوله ولا يختم حياته بترك الصلاة والبعد
عن الله تعالى .

وعلى العكس من ذلك نجد بعض المرضى يستغلون فترة المرض في قراءة القرآن والإكثار من ذكر الله وصلاة النافلة من جلوس لأنه لا يجد الوقت لهذه العبادات عندما يكون صحيحا فيخرج من مرضه بخير وفير من الأجر والثواب .

ثانيا : تعامل الناس مع المريض :

ينبغي للناس -وهم يتعاملون مع المريض أن يراعوا أموراً مهمة من أهمها مايلي :

عيادة المريض :

إن من أهم المثل والقيم الأخلاقية التي دعا إليها الإسلام عيادة المريض ؛ فالمريض ينبغي أن لا يترك وحده فريسة سهلة للمرض ووساوس الشيطان ؛ إنما يجب أن يزار المريض حتى يهون عليه المرض وقد اتبع الدين الإسلامي منهجا للتأكيد على عيادة المريض يتمثل في :

أ - جعل عيادة المريض حقا من حقوقه على إخوانه المسلمين ؛ والمسلم دائما مطالب بأداء هذه الحقوق قال البراء بن عازب - رضي الله عنه - " أمرنا رسول الله - ﷺ - بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس وإبرار المقسم ، ونصر المظلوم ، وإجابة الداعي ، وإفشاء السلام " (١٣)

وقال - ﷺ - " حق المسلم على المسم خمس ؛ رد السلام ، وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس " (١٤)

وجعل عيادة المريض حقا من حقوق المسلم وواجبا على إخوانه المسلمين هو قمة الإهتمام بزيارة المريض .

ب - تحفيز النبي أصحابه على أداء هذا الواجب ووعدهم عليه بالأجر والثواب الكبير من الله تعالى قال - ﷺ - " إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع ، قيل يارسول الله وما خرفة الجنة ؟ قال : جناها " (١٥)

وقال - صلى الله عليه وسلم - " ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن عادته عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف في الجنة " (١٦)

وقال - صلى الله عليه وسلم - " إن الله - عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ، قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده " (١٧)

قيام النبي بهذا الواجب بنفسه :

لقد كان النبي - ﷺ - قدوة للناس في كل شيء وكان دائماً يبدأ في تطبيق الأحكام الشرعية بنفسه وأهله .

ففي هذا الموضوع يروي الصحابة أن النبي - ﷺ - ذهب لعيادة سعد بن أبي وقاص وسأله عن الوصية بكل ماله .. والحديث مشهور (١٨)

وعندما أصيب سعد بن معاذ في غزوة بني قريظة أمر ببناء عريش له جنب المسجد حتى يعود ويطمئن إليه من قريب (١٩)

وذهب النبي - ﷺ - لعيادة سعد بن عباد ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود . (٢٠)

وقد بلغ النبي ﷺ - درجة عالية في هذا الشأن حيث كان لا يفرق عند عيادة المريض بين مسلم وكافر؛ عن أنس رضي الله عنه - قال كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ - فمرض فأتاه النبي ﷺ - فإذ لم يجد معه رأسه فقال له : " أسلم " فنظر إلى أبيه وهو عنده ؟ فقال له : أطع أبا القاسم ، فأسلم فخرج النبي ﷺ - وهو يقول : الحمد لله الذي أنقذه من النار " (٢١) فهذا الحديث يدل على سماحة الإسلام ، وإنسانيته ؛ فهو يحترم الإنسان عموماً دون النظر إلى ديانته ؛ لأن مسألة التدين تكون بين العبد وربّه ، أما التعامل بين الناس من حيث الحقوق والواجبات فيكون بناء على إنسانيتهم .

آداب عيادة المريض :

حتى تؤتي عيادة المريض أكلها وتطيب ثمارها يجب أن تؤدى بالشكل الصحيح وتراعى فيها جملة من الآداب منها :

أ - اختيار الوقت المناسب للزيارة كوقت الضحى أو بعد صلاة العصر أو بعد صلاة العشاء .. ولا تكون الزيارة في أوقات النوم وال قيلولة وأوقات تناول وجبات الطعام .. حتى لا تنقل على المريض ونزید من تعبهِ ونكون سبباً في حرمانه من الراحة والنقاہة .

ب - عدم رفع الأصوات وكثرة الزحام وإطالة الزيارة عند المريض الذي يحتاج إلى الهدوء والراحة ؛ لأن الغرض من الزيارة تهوين المرض وتخفيف المصاب فإذا أدت إلى العكس فلا حاجة إليها ؛ ولذا فقد يكتفي الزائر بسؤال أقارب المريض عن حاله إذا كانت حالته لا تسمح بالزيارة وتجنب عدم إحراجهم بكثرة الأسئلة وذكر التفاصيل .. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه - خرج من عند رسول الله - ﷺ - في وجعه الذي توفي فيه ، فقال الناس يا أبا

الحسن كيف أصبح رسول الله - ﷺ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً .
(٢٢) فحرص الصحابة على رؤية رسول الله - ﷺ كان أشد من رؤية
أي شخص آخر ومع ذلك اكتفوا بالسؤال عن حاله لما علموا أنه كاف
للإطمئنان عنه وأن الزيارة قد يكون فيها إيقال عليه وعلى أهله .

ج - التخفيف على المريض وتهوين المصيبة وبعث التفاؤل في نفسه وعدم
إظهار الخوف عليه مهما كان مرضه شديداً أو خطيراً قال - ﷺ - " إذا
دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل ، فإن ذلك لا يرد من قدر الله
شيئاً ، وهو يطيب نفس المريض " (٢٣)

وقال - ﷺ - روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت
عميت " (٢٤) وإذا كان الصحيح محتاجاً إلى الترويح فما بالك بالمريض الذي
يكون غالباً حبيس داره وقد دخل إبراهيم بن طلحة على عروة بن الزبير
بعدما قطعت رجله فقال له مهونا لمصيبته : (والله ما بك حاجة إلى المشي ،
ولأرب في السعي ، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة
والكل تبع للبعض إن شاء الله تعالى ، وقد أبقي الله لنا منك ما كنا إليه فقراء
، وعنه غير أغنياء ، من علمك ورأيك ، نفعلك الله وإيانا به ..) (٢٥)

فكم من مريض في حاجة إلى شفقة وعطف ينتظر أن يحمل الناس
إليه بشرى سارة ، أو شعوراً نبيلاً ، أو ابتسامة حلوة ، أو كلمة طيبة ، فيحس
بذلك أنه لا يقل أهمية عن الأصحاء ، وبذلك لا يبقى عالمهم مكاناً مظلماً
ولاجنحاً مهجوراً فيه من التعاسة والبؤس ما يقتل النفس (٢٦) ١

فعندما يجالس مريضاً لا نذكر أمامه من مات بهذا المرض من الناس
؛ بل على العكس من ذلك نعدد من شفي منهم ، ونردد معنى قول الشاعر :

فكم من صحيح مات من غير علة وكم من مريض عاش حيناً من الدهر
ولله در القائل :

قل للصحيح يموت لامن علة من بالمنايا يا صحيح دهاك
قل للمريض نجا وعوفي بعدما عجزت فنون الطب من عافاك
قل للطبيب تخطفته يد الردى يا شافي الأمراض من أرداك
الله في كل الحقائق مانئ إن لم لتراء فهو يراك

لقد علمنا ديننا إذا دخلنا على المريض أن نقول له : لا بأس طهور إن
شاء الله ، وما شاء الله عليك ، وصحتك بخير ؛ وإذا اشتكى قلنا له : لا بأس
كلنا نشعر بآلام وأوجاع ... وما شابهه من الكلام الذي يهون المصيبة .

ولانقولن له : ما بال وجهك شاحبا ؟ وما هذا الضعف بجسمك ؟!
ولونك أصفر وعيناك جاحظتان .. وأمثال هذا الكلام الذي يحطم الفؤاد
ويكسر الخاطر ..

دخل النبي ﷺ - على أعرابي يعودده ... فقال له : لا بأس طهور -
إن شاء الله " (٢٧)

فهذا القول على إيجازه فيه دعاء بالشفاء والطهارة من الذنوب
وإخبار المريض بأنه ليس به بأس أو مرض .
د- الدعاء له بالشفاء :

إن من أهم الوسائل التي يدرك بها الشفاء ، الدعاء ؛ فالدعاء سلاح
المؤمن يلجأ إليه في كل أموره ، والمرضى من أهم المصائب التي تدفع
بالدعاء ، فالمريض يدعو لنفسه ، وإخوانه المسلمون يدعون له في وجهه
وبظهر الغيب . وهذا هو ما أمر به النبي ﷺ - ودعا إليه وقام به : عن السيدة

عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - ﷺ - كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمين ويقول (اللهم رب الناس أذهب البأس واشف أنت الشافي لاشفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما). (٢٨)

وعاد النبي - ﷺ - سعدا بن أبي وقاص فقال : (اللهم اشف سعدا ، اللهم اشف سعدا ، اللهم اشف سعدا " (٢٩)

وقال - ﷺ - لعثمان بن أبي العاص (ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل : بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر) (٢٠)

وقال - - ﷺ - : " من عاد مريضا لم يحضره أجله فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك . إلا عافاه الله من ذلك المرض " (٢١)

فهذه الأحاديث كلها تدل على أهمية الدعاء للمريض بالشفاء وإعانتته بذلك ، والدعاء فيه إشعار للمريض بالتضامن معه والشعور بمعاناته .

هـ- جلب الهدايا التي تطيب خاطر ، ولو كانت هذه الهدية شيئا بسيطا في ثمنه ؛ فقيمة الهدية في ما تدل عليه من المحبة والإهتمام قال ص - : (تهادوا تحابوا) (٢٢) وكان - صلى الله عليه وسلم - يقبل الهدية ويثيب عليها ، وبأمر بقبولها ولو كانت فرسن شاة " (٢٣) - أي أسفل رجل الشاة - وهو كناية عن البساطة .

فمن كان قادرا على جلب هدية كقارورة عسل أو لبن أو فاكهة أو طيب أو ماشابه فلا يبخلن بها فإن لها وقعا عظيما في النفس .

و- تقديم النصيحة للمريض بكل إخلاص وأمانة حتى ينتفع بها في دينه ودنياه كضرورة تناول الدواء والحرص عليه في أوقاته ، والمحافظة على الصلاة ، وذكر الله ، والصبر ، وتناول الطعام ..

ز- البعد التام عن كل مايضر بالمريض ؛ مثل التدخين عنده ، أو إخباره بالأخبار السيئة التي تقبض النفس وتضر بها .

هذه بعض الآداب التي يجب أن تراعى عند زيارة المريض حتى تكون زيارتنا في الله ننال بها من الله الأجر العظيم .

٢ - عدم إزدراء المريض واحتقاره :

إن من أهم الدعوات التي وجهها الإسلام للإنسانية هي عدم ازدراء الآخرين لأي سبب من الأسباب قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) سورة الحجرات ١١ .

فدور العاهات أو أصحاب الإحتياجات الخاصة لا يجب أن ننظر إليهم باستعلاء ونعتبرهم فئة دونية ، إنهم وإن فقدوا حاسة من حواسهم أو عضوا من أعضائهم يشتركون معنا في أعضائهم الأخرى وفي كثير من الأحوال يتفوقون علينا في توظيف هذه الحواس ، وكلنا أولاً وأخيراً نشترك في الإنسانية والعقل والتكريم ، وانظر كيف سمى النبي - ﷺ - المريض أو المجنون أو المعاق : مبتلى ؛ وهو وصف مناسب لهذا الإنسان الذي لا يختلف عنا في شيء إلا هذا الإبتلاء الذي قد يكون سبباً في تفضيله علينا وزيادة أجره وعظيم منزلته عند الله إن هو صبر واحتسب .

٣- التفكير في نعمة الصحة وشكر الله عليها :

إن الصحة من أهم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان ؛ لأنه عندما يكون صحيحا يمارس حياته بشكل اعتيادي ويشعر بالراحة والسكينة وقد امتن الله على الإنسان بالصحة قال تعالى : (أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) سورة البلد ٨-١٠ وقال تعالى : (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) سورة الذاريات ٢١ ؛ أي : ألا تلاحظون النعم الكثيرة في أنفسكم من السمع والبصر والكلام ... وقال تعالى : (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) سورة غافر ٦٤. وقال تعالى : (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) سورة التين ٤.

فالمسلم الصحيح عليه أن يستشعر هذه النعم ويشكر الله عليها كما كان يفعل أنبياء الله ورسله ؛ فهذا إبراهيم _عليه السلام_ يقول (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) سورة الشعراء ٨٠ . ومحمد - ﷺ - كان يحمد الله دائما على الصحة ويدعو المسلمين لتسخيرها لطاعة الله قال - ﷺ - (إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَبْتَلَى فَقُولُوا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْتَ تَفْضِيلًا) (٣٤) وكان - ﷺ - إذا نظر للمرأة قال : اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي (٣٥)

وكان - ﷺ - يحث الناس على اغتنام نعمة الصحة في طاعة الله وعبادته والجهاد في سبيله فيقول : (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ؛ الصحة والفراغ) (٣٦)

أما الذي يتباهى بصحته ويستغلها في استضعاف الناس فليس بشيء قال - ﷺ - (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) (٣٧)

وقد فهم سلف الأمة هذا الدرس ووعوه جيدا وضربوا أروع الأمثلة في الصبر ؛ فمن هؤلاء الصابرين عروة بن الزبير بن العوام وهو أحد فقهاء المدينة السبعة الذي قال عندما بُترت ساقه في نفس الليلة التي سقط فيها ابن له من السطح فمات قال " اللهم كان لي أربعة أطراف فأخذت واحدا وتركت ثلاثة فإن كنت أخذت فقد أعطيت وإن كنت ابتليت فقد عوفيت ."(٣٨)

إن الحكمة التي نقول (الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراها إلا المرضى) تعبر فعلا عن أهمية الصحة وأنها نعمة عظيمة لا يشعر بها كثير من الناس إلا إذا فقدوها وحرّموا منها ؛ فالعاقل هو الذي يستفيد من صحته وإذا فقد جزءا منها فعليه ألا يجزع ، بل يعمل على استغلال الباقي في طاعة الله تعالى .

٤ - إشراك المرضى والمصابين في خدمة المجتمع :

إن المجتمع السعيد الواعي المتحضر هو الذي يستفيد من كل الطاقات الموجودة عنده ويفيدها ؛ فالمرضى وذوو الإحتياجات الخاصة يجب أن لا يوضعوا موضع الإهمال ويغفل عنهم ؛ لأن في إشراكهم في خدمة المجتمع العديد من الفوائد منها :

= الإستفادة منهم في تخصصاتهم المختلفة ومهنتهم المتعددة ؛ ففي هذه الشريحة الكثير من الطاقات التي قد لا توجد عند غيرهم .

= إقحامهم في العمل يقضي على جانب كبير من البطالة ، ويخلص المجتمع من عبء التفكير في هذه الشريحة .

= رفع معنوياتهم ، والنظر إليهم بدون تمييز ، وهذه من أعظم الخدمات المعنوية التي تحتاج إليها هذه الشريحة التي تشعر بالنقص في كثير من الأحيان بسبب فقد حاسة من الحواس

وقد كان السلف الصالح يعون هذا الدور جيدا ويطبّقونه في حياتهم ؛ لأن النبي - ﷺ - رباهم وعودهم على ذلك ؛ فنجد النبي - صلى الله عليه - وسلم - يأمر عبدالله بن أم مكتوم برفع الأذان في المسجد^(٣٩) وهي مهمة تشرئب لها كثير من الأعناق الحريصة على أن تكون أطول الناس أعناقا يوم القيامة ، لكن النبي - ﷺ - كلف بها هذا الرجل الضرير ليشركه في خدمة المجتمع ، وكان أيضا يستخلفه على المدينة عندما يسافر النبي - ﷺ - فيكون حاكما على المدينة في غيابه وكفى بها مهمة وعملا . وقد أراد هذا الصحابي الجليل بعلو همته أن يكون مشاركا في أصعب المهام ؛ فقال لهم يوم أحد : أنا رجل أعمى فسلموا لي اللواء ؛ فإنه إذا انهزم حامل اللواء انهزم الجيش ، وأنا ما أدري من يقصدني بسيفه فما أبرح " (٤٠)

= وكلف بلالا بالأذان ، وكان أيضا خازنه (٤١) ، وهو أسود ؛ وكان السواد في ذلك الوقت صفة نقص ؛ لأن معظم العبيد كانوا من السود ، فجاء الإسلام وسأوى بين الناس ولم يفرق بين لون ولون .

= وجاء عمرو بن الجموح - وكان رجلا أعرج - يريد الجهاد وأبنائه يمنعونه من ذلك وذهبون بدله وهو يقول بكل فخر واعتزاز " إني أريد أن أطا بعرجتي هذه الجنة " (٤٢) فأذن له النبي - ﷺ - بالجهاد .

وكان عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - نحيفا دقيق الساقين فضحك الصحابة من دقة ساقيه يوما وهو راكب لنخلة فقال النبي - ﷺ - " "

إنها تزن جبل أحد يوم القيامة" (٤٣) فبذل النبي - ﷺ - صفة النقص بصفة كمال ومنزلة ومكانة عند الله . وكان يأمر بأخذ القرآن عنه فصار عبد الله من أعظم القراء والفقهاء الذين نقلوا لنا القرآن والسنة والفقہ ، ومن الغريب أن يكون هذا الصحابي النحيف هو من يُجهز على فرعون الأمة أبي جهل في غزوة بدر ، هذا يدل على عدم استسلام الصحابة للمرض أو الإعاقة .

= وخرج المقداد بن عمرو للجهاد وهو شيخ كبير سمين ، فقيل له : ياشيخ قد عذرك الله . فقال : استغفرتنا البعوث" (٤٤) يعني سورة التوبة ؛ لأن فيها الأمر بالجهاد قال تعالى (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) سورة التوبة ٤١ .

وكذلك سعيد بن المسيب فقيه التابعين وسيدهم خرج للجهاد وهو كبير وقد فقد إحدى عينيه فقيل له قد عذرك الله . فقال إن لم يمكنني الجهاد ، كثرت السواد وحفظت المتاع . (٤٥)

= أما عطاء بن أبي رباح تلميذ ابن عباس ، وكان يفتي في حياة الصحابة وكان ينادي مناد في موسم الحج : لايفتي إلا عطاء بن أبي رباح بأمر من الخليفة مع أنه كان رجلاً أسود أعمى أشل .. (٤٦) لكنه كان عالماً ففرض نفسه على الناس فاحتاجوا إليه . ونحن نرى اليوم كثيراً من المكفوفين يسهمون في نشر العلم وتعليم الناس وله مكانة عظيمة في النفوس .

= وكان أبو الأسود الدؤلي أعرج وهو من علماء التابعين وهو أول من بدأ بكتابة علم النحو . = وكان الإمام قالون صاحب الرواية المشهورة في القرآن الكريم أصيب بصمم فلم يمنعه ذلك من قراءة القرآن وتعليمه للناس

= وكان كثير من المكفوفين اشتهروا بنظم الشعر كأبي العلاء المعري والأعمى التطيلي وغيرهم .

= وفي هذه البلاد نجد الكثير من العلماء كالشيخ عمر الجزوري - رحمه الله - والشيخ الطيب النعاس والشيخ محمد الرابطي والشيخ الهادي النعاس كريمه ، والشيخ الهادي التونسي ، والشيخ أحمد الخدراوي - رحمه الله - وغيرهم كثير كان لهم دور في نشر العلم في هذه البلاد .

= ويضرب الشيخ أحمد ياسين - رحمه الله - المثل في التغلب على الإعاقة ، فهذا الشيخ المقعد العاجز عن تحريك يديه وقدميه يقاوم الإحتلال الصهيوني المغتصب ويحرك الإنتفاضة الفلسطينية وثورة الحجارة فيحرك بها العالم بأسره ، ويرفض الإستسلام والخضوع مع أنه سجن مرارا ، فيلجأ العدو الغاضب القادر إلى آخر الحلول - في نظره - باغتياله وهو ذاهب ليؤدي صلاة الصبح في المسجد وبالها من معركة ومأخسه من عدو عندما تأتي طائرة مقاتلة وترسل صواريخها إلى كرسي يتحرك برجل عاجز ، إن هذا ليدل دلالة قاطعة على أهمية هذه الشخصية ومكانتها الكبيرة وخوف العدو منها .

وهو بالتالي يعطي دافعا لكل معاق ، وقدوة لكل مريض ودرسا لجميع الناس ؛ أن الشهادة والجهاد ليسا حكرا على الأصحاء ، فكم من صحيح يموت في فراشه كما يموت البعير الأجرب وكم من صاحب إعاقة شرفه الله بالشهادة في سبيله ، أو سخره لخدمة عباده في موقع من المواقع ، أو اخترع وابتكر شيئا ينفع البشرية ويخطو بها الأمم .

دور الجهات المسؤولة في مكافحة المرض :

إن للجهات المسؤولة لدورا هاما في مكافحة المرض والحفاظ على صحة المواطن الذي يمثل القاعدة

المهمة للمجتمع المسلم ويتلخص هذا الدور فيما يلي :

١- إقامة المستشفيات والمراكز الصحية ، والإهتمام بها من حيث توفير الأطباء المتخصصين والممرضين المهرة والفنيين في شتى مجالات الطب ، وما يلحق به من علوم وفنون .. وكذلك توفير الأجهزة والمعدات الطبية التي يحتاج إليها المريض ويكون لها دور فعال في تقديم الخدمات الطبية المناسبة، وبدونها تصبح العملية الطبية صعبة متعذرة .

إن قطاع الصحة ليعد من أهم القطاعات التي يجب دعمها دائماً لأنه يتعامل مع المريض الذي يشعر بالضعف والنقص ، فيجب أن لا تزيد حالته سوءاً بعدم الإهتمام والإهمال أو التقصير في علاجها لأن ذلك يشعره بالمرارة والألم المتزايد وهذا الأمر لا يرضاه أي مسلم لنفسه ولا لغيره .

لقد كانت الحضارة الإسلامية سباقة في هذا المجال حيث شهدت الدولة الإسلامية فبي مقتل عمرها إنشاء العديد من المستشفيات وكان يسمى البيمارستان ، وهو مكان يأوي المرضى ويقدم لهم الرعاية الصحية المناسبة، وكانت خزينة الدولة وأموال المتبرعين هي الممول الرئيسي لهذه المشاريع.

وقد بلغ من اهتمام المسلمين بالمريض وراحته وتهئية الجو النفسي المناسب له ؛ أن كانت هناك أوقاف لتأنيس المرضى ، حيث يؤجر بهذه الأموال أناس يجلسون مع المريض ويسلونه ويحكون له القصص والمشوقة، وعندما يأتي الطبيب يسألونه عن حال المريض فيجيب الطبيب بأنه بخير وفي تحسن... حتى يرتاح المريض ويستجيب جسمه للعلاج .

٢- إنشاء المراكز البحثية في علوم الطب، والإهتمام بها ودعمها؛ لأن هذه المراكز هي التي تكتشف الأمراض وتبحث عن أسبابها وطرق انتشارها، وتحاول القضاء عليها أو الحد منها، وإيجاد الأدوية والعقاقير المناسبة لها.

وهذه المراكز في غاية الأهمية لان اكتشاف الأمراض والبحث عن أسبابها قبل أن تنتفشي لا يكون إلا بهذه المراكز.

ومنا المؤسف حقا إن دول العالم الثالث لاتهتم بهذا المجال وتبقى في انتظار البعثات الأجنبية حتى يفتك المرض في أبنائها ثم تقع فريسة في شركات الأدوية.

إن المجتمع الذي لا يخدمه أبنائه لن يهتم بهي أحد إلا إذا شعروا بالخطر على أنفسهم ، عند ذلك فقط يتدخلون بالقدر الذي يحميهم وينفع شركاتهم وحسب.

فانتشار الأمراض الخبيثة والإيدز والكبد الوبائي والعقم وأمراض العظام ... وغيرها تحتاج إلى أطقم من المتخصصين من شباب هذه الأمة ليكشفوا عن الأسباب ويجدوا الحل العاجل لها.

ويلحق بهذه المراكز، إنشاء مصانع للأدوية والإستفادة من الطب الشعبي وتطويره، فقد ثبت أهمية كثير من الأعشاب لعلاج بعض الأمراض لأن هناك انسجاما بين الأعشاب والبيئة التي يعيش فيها.

إن المراكز البحثية لتعد مثل جهاز الإنذار الذي يحذر من وقوع حريق قبل انتشاره والعجز عند مقاومته.

٣- الإهتمام بمراكز تأهيل المعاقين وذوي الإحتياجات الخاصة لتخفيف آلامهم والإستفادة مما تبقى من أجسامهم، وإنشاء المعاهد الخاصة بالصمم وضعاف السمع.. وغيرهم من ذوي الإحتياجات الخاصة وإقحامهم في المجتمع .

ويدخل في ذلك أيضا توفير الأجهزة والمعدات التي تخصهم وتعينهم على الحركة والتنقل من آليات وغيرها.

وكذلك إعطاؤهم علاوات خاصة وحوافز ومنح لأنهم في حاجة لمن يعينهم ويقف معهم فيكون المال عوضا لهم على ذلك.

٤- الإهتمام بالتوعية الصحية:

وذلك بتوعية الناس وإرشادهم إلى البعد عن كل ما يضرهم ويسبب لهم المرض ، وإرشادهم إلى أهمية الدواء عند الحاجة إليه وكيفية تناوله ، وأهمية الغذاء الصحي، وضرر التدخين والمشروبات الغازية والمواد الحافظة والمعلبات...

وكذلك توعيتهم بطريقة التعامل مع المرض ، خاصة في الأمراض المزمنة كالسكري وضغط الدم والنقرس وغيرها من الأمراض المصاحبة لبعض الناس وتحتاج إلى ثقافة ووعي في التعامل معها .

٥- التأكيد على ممارسة الحجر الصحي ؛ وذلك بمنع دخول أصحاب الأمراض المعدية للبلاد ، وتوفير الخدمات الصحية بالمنافذ التي يدخل منها الجانب ، ومراقبة البضائع الداخلة من حيث الجودة والصلاحية لاسيما الحيوانات الحية والطيور ؛ وهذا الكلام ليس من قبيل النصائح الطبية فحسب بل هو واجب شرعي وتوجيه نبوي ؛ غفد نهى النبي ص - المصاب بالطاعون من الخروج وحذر الآخرين من الدخول عليه وهذه غاية الوقاية وهي فكرو الحجر الصحي التي تمارسها كثير من الدول اليوم عند انتشار بعض الأمراض قال ص - " إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه " (٤٧)

وفي الختام هذه محاولة لإبراز أهمية هذا الموضوع وكيف عاجه الإسلام ليزداد حرص المسلمين عليه والتمسك بآدابه وتعاليمه ، أسأل الله أن يجعله في موازين الحسنات ، وأن ينفع به كاتبه وقارئه إنه سميع مجيب .
وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الهوامش :

- ^١ رواه مسلم ح/ ٢٩٩٩.
- ^٢ رواه البخاري ح/ ٥٦٥٣
- ^٣ رواه البخاري ح/ ٥٦٥٢ ومسلم ح/ ٢٥٧٦
- ^٤ رواه البخاري ح/ ٥٦٤١ ومسلم ح/ ٢٥٧٣
- ^٥ رواه البخاري ح/ ٥٦٤٨ ومسلم ح/ ٢٥٧١
- ^٦ رواه الترمذي ، انظر ضعيف الجامع للألباني ح ١١٧٦
- ^٧ فتح الباري شرح صحيح البخاري ح ١٢/ ٢٤٠ ومسلم ح ٤/ ١٧٢٩
- ^٨ رواه مسلم ح/ ٥٨٧٥
- ^٩ الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٤٧ ومعجم الطبراني ٦/ ٥٠
- ^{١٠} رواه البخاري ح ٤٤٥٠ ومسلم ح ٢٤٤٤
- ^{١١} رواه مسلم ح ٢٦٦٤
- ^{١٢} رواه الترمذي وقال حسن صحيح ، انظر السلسلة الصحيحة للألباني ح ٢٢٨٠
- ^{١٣} رواه البخاري ح/ ١٢٣٩ ومسلم ح/ ٢٠٦٦
- ^{١٤} رواه البخاري ح/ ١٢٤٠ ومسلم ح/ ٢١٦٢
- ^{١٥} رواه مسلم ح/ ٢٥٦٨
- ^{١٦} رواه الترمذي وحسنه
- ^{١٧} رواه مسلم ح/ ٢٥٦٩
- ^{١٨} البخاري ح/ ٥٣٥٤ ومسلم ح/ ٤٢٩٦
- ^{١٩} الفصول في سيرة الرسول لابن كثير ص/ ١٧٤
- ^{٢٠} رواه البخاري ح/ ١٣٠٤ ومسلم ح/ ٩٢٤
- ^{٢١} رواه البخاري ح/ ١٣٥٦
- ^{٢٢} رواه البخاري ح/ ٤٤٤٧
- ^{٢٣} رواه ابن ماجه ١/ ٤٦٢ والترمذي وقال غريب ٣/ ١٢٤
- ^{٢٤} رواه مسلم ح/ ٧١٤٢
- ^{٢٥} التشريع والفقه في الإسلام مناع القطان ص/ ٢٤٣
- ^{٢٦} التوعية الصحية في الإسلام ، الشيخ صالح العود ص/ ١٨
- ^{٢٧} رواه البخاري ح/ ٣٦١٦
- ^{٢٨} رواه البخاري ح/ ٥٧٤٣ ومسلم ح/ ١٢٩١
- ^{٢٩} رواه البخاري ح/ ١٢٩٦ ومسلم ح/ ١٦٢٨
- ^{٣٠} رواه مسلم ح/ ٢٢٠٢
- ^{٣١} رواه أبوداود ، والترمذي ، والحاكم ، انظر صحيح الجامع للألباني ٢٣٨٨
- ^{٣٢} رواه البخاري في الأدب المفرد ح/ ٥٩٤ والبيهقي في السنن الكبرى ٦/ ١٦٩
- ^{٣٣} رواه البخاري ح/ ٢٥٦٦ ومسلم ح/ ٢٤٢٦
- ^{٣٤} من كلام سلمة بن دينار ، انظر حلية الأولياء ٢٤٩

- ^{٣٥} البقات لابن سعد ٣٧٧/١ وصحيح ابن حبان ح/ ٩٥٩ وأبو يعلى في مسنده ح/ ٥٠٧٥
- ^{٣٦} رواه البخاري ح/ ٦٤١٢
- ^{٣٧} رواه البخاري ح/ ٦١١٤ ومسلم ٢٦٠٩
- ^{٣٨} التشريع والفقہ في الإسلام مناع القطان ص/ ٢٤٣
- ^{٣٩} فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٤٥/٢
- ^{٤٠} الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٥١-١٥٠/٨
- ^{٤١} البخاري ح/ ٢٢٠ ومسلم ٢٨٥/١
- ^{٤٢} السيرة الحلبية ٥٢٦/٢
- ^{٤٣} حلية الأولياء لأبي نعيم ١٢٧/١
- ^{٤٤} الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٥١/٨
- ^{٤٥} نفسه
- ^{٤٦} التشريع والفقہ في الإسلام مناع القطان ص/ ٢٥٦
- ^{٤٧} رواه البخاري ح/ ٦٩٧٣، ومسلم ح/ ٢٢١٨.